التجربة الشخصية في تدريس مادة منهج البحث التاريخى : آراء وملاحظات

الاستاذ الدكتور
سامي عبد الحافظ القيسي
جامعة بغداد كلية – التربية للبنات

ملخص البحث :

من خلال التجربة العملية في تدريس مادة منهج البحث التاريخي لطلبة الدراسات العليا وكذلك من خلال المساهمة المستمرة في مناقشة رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه وجدت ان هناك ضعف عام لدى الطلبة وغياب النظرة الاكاديمية المتعلقة بهذا الموضوع . فجاء هذا البحث ليتلمس الوسائل والآليات للنهوض بهذا الموضوع الحيوي بمناقشة عنصرين اساسيين حتى يبدع المؤرخ في نتاجاته وكتاباته التاريخية وهما أولاً منهج واضح ومحدد للبحث وثانيهما عقلية جيدة للباحث .

فالمنهج عبارة عن منظومة من القواعد والشروط والطرق الواجب الالتزام بها عند كتابة أي بحث تاريخي . أما العقلية الجيدة للباحث فأعني به التكوين الشخصي أو ما يتعارف عليه في يومنا هذا ب(الشخصنة) للدارس والباحث في التاريخ . إذ لابد من توفر صفات تتعلق بشخصية الباحث لتجعله مؤهلاً من الناحية الثقافية وقادراً من الناحية الذهنية على جمع المعلومات وعرضها ومن ثم القدرة على إيصالها الى القرلء حتى يكتسب لقب المؤرخ .

وقد تطرقت في هذا البحث الى المدارس الفكرية التي تخصصت فى مواضيع منهج البحث التاريخي وهما المدرسة الغربية وذكر ابز روادها ثم المدرسة العربية مع

ذكر الاشهر من روادها . بعد ذلك انتقلت الى تجربة المدرسة العراقية الى اثبتت بمرور السنوات انها قد نجحت الى حد كبير بوضع الاسس والعناصر التي إعتمدتها في تدريس مادة منهج البحث التاريخي لطلاب الدراسات العليا.

وضمن اطار هذالبحث وضعت بعض المقترحات والتصورات التي اعتقد أنها ستساعد الطلبة بتقديم دراسات تاريخية تتصف بالجدية والابتكار وتشجعهم على التحليل والاستنتاج منها الحضور الالزامي للحلقات الدراسية الاسبوعية (السمنار)، حصول الطالب على درجة مقنعة من الكفاءة اللغوية ، حضورالمناقشات العلنية لرسائل الماجستير واطاريح الدكتوراة وتدوين الملاحظات المثارة ، الزيارة الميدانية لمركز الوثائق والاطلاع على نماذج منها من حيث الموضوع والفهرسة وكيفية الاستعارة، تزويد الطالب بالاسس والمرتكزات الواجب إعتمادها عند عرض المصادر وتعويدهم على كيفية عرض اكبر عدد ممكن من المصادر.

كذلك لايمكن مناقشة موضوع كمنهج البحث التاريخى دون التطرق الى اهمية المكتبة في رحلة اعداد البحث . وتسليط الضوء على واقع المكتبة والخدمات المكتبية بشكل عام . للاسف الشديد ان الخدمات المكتبية دون الطموح بدرجة كبيرة. ان وجود المكتبة التي تقدم افضل الخدمات المكتبية هي التي تتوفر فيها الوسائل المساعدة من امناء مهرة وفهارس حديثة واجهزة تصوير وغيرها من التقنيات التي تساعد الباحث على اداء عمله على الوجه المطلوب .

ان هذا البحث حتى تكتمل جوانبه استدعت الضرورة الى تسليط الضوء على دور المشرف في هذه الرحلة البحثية بيان ماله وما عليه . لذا كان الحديث صريحآ فيما يتعلق بالاشكاليات التي يعاني منها المشرفون وفي الطليعة منها تحمله لمسوؤلية الاشراف على عدد كبير من الطلبة . والاشكالية الاخرى تتعلق بثقافة المشرف .

وفي ختام البحث ادرجت مجموعة من العناصر كانت بمثابة مقترحات اطمح ان تجد طريقها الى التطبيق .

Historical Method in writing an M.A. and Ph.D. thesis Personal Experience:

During my long years in teaching, supervising and leading various examination committees, I have found general weaknesses in dealing with this typical issue in presenting a postgraduate written work in the modern history of Iraq. The historian needs two basic elements no matter what his main interest is:

Firstly: a clear method of research.

Secondly: a clear vision and a stable mind.

One has to define "historical method" as a combination of rules, conditions and procedures that should be followed in writing history. While the researcher's mentality means his personal entity.

It is necessary to have other qualifications connected to the historian's personality making him well qualified in terms of culture and open minded.

This will help him in collecting different materials that can be presented in a good manner. It is a complicated mission and not easy to materialize without a wide range of knowledge with the ability to criticize, analyze and write history with absolute neutrality.

The historian needs to develop his historic sense, his desire to study history, follow up various events with the purpose of reaching the historical fact and nothing else except the fact.

The main purpose of this research is to shed some lights on the issue of historical method, discussing the problematic side surrounding this phrase and describing the various elements involved.

There are some basic elements that should be available to those professors who undertake teaching this subject. If we could manage to administer these matters with some other issues properly and effectively; this will enhance and strengthen the M.A and Ph.D. thesis dealing with modern history of Iraq; which in the end will contribute in one way or another in helping reconstruction of higher education in Iraq.

مما لاشك فيه ان المؤرخ أياً كان تخصصه فى التاريخ الحديث أ والقديم أو التاريخ الاسلامي او المعاصر أذا أريد له الابداع فى نتاجاته وكتاباته التاريخية ان يتوفر لديه عنصرين اساسيين هما منهج واضح للبحث والاخر عقلية جيدة للباحث .

فمنهج البحث يوفر الارضية السليمة والآلية المتبعة فى أخراج البحث وفق الهيكلية الاكاديمية المتعارف عليها فى الدراسات الاكاديمية . فهو عبارة عن منظومة من القواعد والشروط والطرق التى يجب الالتزام بها عند الكتابة فى حقل البحوث التاريخية .

أما العنصر الثاني فأقصد به عقلية الباحث المؤرخ . فليس كل دارس للتاريخ مؤرخاً . إذ لابد من توفر خصائص أخرى تتعلق بشخصية الباحث تجعله مؤهلاً من الناحية الثقافية وقادراً من الناحية الذهنية على جمع المعلومات وتمحيصها ومن ثم القدرة على إيصالها الى القراء ليكون مؤرخاً . وهذه عملية معقدة لاتنضج الا بتوفر الثقافة الواسعة والقابلية على النقد والتحليل والقدرة على تصور الماضى والالتزام بالحياد والموضوعية . فالمؤرخ فى حاجة ماسة الى الاستمرارفي تنمية حسه التاريخي وتعزيز رغبته فى الدراسة والمطاولة وصولاً الى الحقيقة التاريخية .

إلا أن هذا العبىء لايقع على كاهل الباحث المؤرخ وحده ، إذ أن وعيه الثقافى وحسه التاريخي هما الأخران في حاجة الى تاصيل وتنشيط وتنمية عبر توفر مؤسسات البحث التاريخي كالمكتبات ودور النشر ومؤسسات الطبع والتوزيع ومراكز الوثائق مع تشريع اللوائح والقوانين التى تيسر الاطلاع والاستشارة دونما تعقيد او عراقيل بحجة التنظيم والارشفة والاستنساخ للمحافظة على المخزون من الموجودات الوثائقية.

لقد كانت مواضيع منهج البحث التاريخى والعناصر الي تشكل الاركان الاساسية فيه قد كثر الجدل والتنظير فيها من قبل مدرستين تاريخيتين هما :

المدرسة الغربية : وروهدها الأوائل قد نشرت مؤلفاتهم المترجمة الى اللغة العربية وهى معروفة ومتداولة من قبل الباحثين الاساتذة فى منهج البحث التاريخى والمتخصصين فى تدريس ودراسة التاريخ. ومن هولاء الرواد على سبيل المثال لاالحصرجوزيف هورس ، ج.هرنشو ، توماس كارلايل ، ادوارد كار، كولنجوود، أ.ل.راوس ، وتوينبي وغيرهم الكثير.

المدرسة العربية : وروادها الاوائل قسطنطين زريق وحسن عثمان وعبد الرحمن بدوي وعبد العزيز الدوري ورستم حيدر وشاكر مصطفى وحسين مؤنس وآخرون غيرهم اشتهروا بدراساتهم ومعالجاتهم الكلاسيكية لموضوع منهج البحث التاريخي وأبوابه المتعددة كصفات المؤرخ ومؤهلاته وعلاقة التاريخ بالعلوم الاخرى وغيرها من المواضيع .

أما تجربة المدرسة العراقية فى موضوع منهج البحث التاريخى فبالاضافة الى كونها حديثة من حيث عمرها الزمنى مقارنة بالمدرستين السابقتين وقليل هى تلك الدراسات التى تناولت مفردات هذا الموضوع . وحتى المؤلفات التى ظهرت فى السنوات الاخيرة لم تبتعد كثيراً في معالجاتها عن بنية المدرستين .السابقتين فقد إعتمدوها كمرجعية فيما ذهبوا إليه فى مناقشاتهم رغم القناعة أن مناهج البحث فى علم التاريخ تتطور فى كل مرحلة من تطور علم التاريخ نفسه بعلاقة جدلية بين بنية العلم المعرفية ومناهج البحث فيه .

إن هذا البحث محاولة متواضعة عن تجربة المدرسة العراقية موضحاً الاسس والعناصر التى إعتمدتها فى تدريس مادة منهج البحث التاريخى

لطلاب الدراسات العليا الذين إنخرطوا للتخصص فى تاريخ العراق المعاصر. فضلاً عن بيان بعض المقترحات للنهوض بهذا الموضوع عبر توظيف التجربة الشخصية فى هذا المضمار.

لقد نشأت الدراسات العليا فى العراق بوصفها الرافد الاساس للبحث العلمى الذى يرفده بأجيال متواصلة من العلماء والباحثين فى أدق الاختصاصات . كما أنها تعد المجال الخصب والطبيعى لتوسيع ميادين البحث وموضوعاته. والتى تعود بالتالى لخدمة خطط الدولة التنموية على المستويين القصير والبعيد المدى .

وعلى قدر تعلق الامر بدراسة تاريخ العراق المعاصر فقد إنكب طلبة الدراسات العليا فى بداية الامر على قراءة واستشارة المصادر المتعلقة بتاريخ العراق المعاصرممن اسهم فى تأليفها اناس هم من خارج المؤسسة الاكاديمية وكان لهم أفضلية السبق فى الكتابة فيه من بينهم على سبيل المثال لاالحصر عباس العزاوي والسيد عبد الرزاق الحسني وحسين جميل المحامي ونجدت فتحي صفوت وأمين المميز ... وآخرون غيرهم إنخرطوا فى هذا الميدان من باب الترجمة أبرزهم جعفر خياط وصفاء خلوصى وسليم طه التكريتي ...الخ. ثم فى مرحلة لاحقة توفرت للطلبة مؤلفات وكتابات كانت لأساتذة هم من رحم وصميم المؤسسة الاكاديمية العراقية ممن واصل دراسته العالية خارج العراق وحصل على درجات علمية على مستوى الدكتوراه سواء في الجامعات الغربية أو فى جامعات أوربا الشرقية . والى هؤلاء جميعاً يعود الفضل الكبير واليادة فى وضع دراسات جديدة وأصيلة عن تأريخ العراق الحديث والمعاصر وفق رؤى متطورة ومعالجة جديدة أبرز مؤشراته وضوح الاتجاهات الليبرالية على مؤلفات وكتابات المجموعة

الاولى يقابله غلبة وبروزالتفسير الماركسي في الكتابات التاريخية للمجموعة الثانية .

لقد مثل التيار الاول الاساتذة الدكتور زكي صالح وجعفر خصباك وفاضل حسين وياسين عبد الكريم وعبد الوهاب القيسي رحمهم الله جميعآ . ومثل التيار الثاني الاستذة محمد توفيق حسين رحمه الله والاستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد والاستاذ الدكتور هاشم صالح التكريتي أطال الله عمرهم . ومن بين تأثير هذين التيارين إنبثق تيار ثالث إتخذ خصوصية واضحة ميزته عن التيارين السابقين تلك هيي المدرسة العراقية فى كتابة تاريخ العراق المعاصر التى تميزت بأدواتهاالوثائقية ومصادرها الاصيلة ومنهجها السليم فى التحليل والاستنتاج . لأقد أنجزت هذه المدرسة دراسات عديدة وكتب ومؤلفات جادة وبأسلوب منهجي دقيق إتسم بالموضوعية والرصانة والحرفية العالية وحققت نجاحآ ملحوظآ يحسب لها فى تحقيق الانسجام والتزاوج فى منهجها لاساليب المدرستين السابقتين (الشرقبة والغربية)

إن المدرسة العراقية هذه يمثلها ويجسدها فى الوقت الحاضر عدد لايستهان به من طلابها الذين لهم بصمات واضحة فى الكتابة التاريخية والدراسات الاكاديمية ويشغلون مساحات عريضة من المسؤليات التدريسية والادارية فى اقسام التاريخ المنتشرة فى كليات وجامعات العراق المختلفة .

لقد وضعت هذه المدرسة اسس رصينة فى منهج البحث التاريخي وشروط من يتصدى لتدريس هذه المادة تدربنا عليه نحن طلاب الدورة الاولى لدراسة التاريخ الحديث فى قسم التاريخ بكلية ألآداب / جامعة بغداد فى أواخرالستينات من القرن الماضى . إذ تم تزويدنا بمساحة معرفية واسعة فى موضوع منهج البحث التاريخي إلا أنها معرفة نظرية يندرج أغلبها ضمن

إطار اوسع يطلق عليه تأريخ الفكر History of Thought وكان المرحوم الاستاذ محمد توفيق حسين هو من تكفل بتدريس هذه المادة فى فصل دراسى مكثف وقع على كاهلنا العبىء الاكبر في تتبع ذلك الكم الهائل من الدراسات الي تناولت تأريخ الفكر والمدارس التاريخية المختلفة في تفسير الاحداث التاريخية . لم يصرف المرحوم الاستاذ محمد توفيق حسين وقتآ على إستخدام الهوامش وفنيات التوثيق وتقنيات إخراج الاطروح إنما أضاف بما يمتلكه من خزين معرفي وفكر متفتح الى معلوماتنا مساحة عريضة من المعرفة التاريخية بحيث ينطبق عليه وبدون تردد أو شك الصفات والمؤهلات لمن يتصدى لتدريس منهج البحث في ان يكون " عالمآ في موضوعه وعارفآ بدقائق تخصصه ومنهجى في معالجاته ومجتهد في أحكامه ويعبر فى كتاباته عن مبدئية صحيحة ووجهة نظر فكرية سليمة وهو على معرفة عميقة بفلسفات التاريخ ونظرياته ولا يغيب عنه مساهمات ألآخرين في موضوع تخصصه وما يتصل به "

أما التطبيقات العملية التى تشتمل على المتانة فى تركيب الجمل وصياغتها وترتيب اولويات المحتوى عبرالمباحث والفصول فضلآ عن الاستخدام السليم للهوامش فتم العمل عليها والتدريب على تفاصيلهامن خلال الاوراق البحثية المتعددة التى كنا نعدها بشكل مستقل لكل موضوع من الماضيع يصاحبها وبشكل مستمر النقاش والتعليقات والتصويبات.

إن هذا الاسلوب النظرى والعملي أجد من الضروري الالتزام والتقيد به والسير بمقتضاه . وقد ثبت من خلال التجربة وزمالة التدريس أن هناك قلة من الاساتذة من يلتزم به وهو إلتزام من باب (إسقاط الفرض) ليس إلا .

وقد إنعكس عدم التقيد بهذا الاسلوب فى ضعف المساحة المعرفية عند الطلبة وهشاشة رسائلهم الجامعية وتدنى مستوياتها . حتى إن الكثير منها يخلو من النتائج العلمية الجديدة التي من المفترض أن تشكل إضافة الى المعرفة التاريخية . إذ يسعى طلبة الدراسات العليا للحصول على الدرجة العلمية بأى شكل من ألاشكال دون الاهتمام أو ألاخذ بنظر الاعتبار محتوى وجوهر الرسالة أو الاطروحة أو تلك المستلزمات البنيوية فى كتابتها وإخراجها لتجعل من صاحبها مؤرخآ حقآ . وقد علق أحد الباحثين على هذأ الوضع قائلآ :

" لم يعد العمل والبذل مسالك للصعود.... وحل الاستهال محل الجد وشاع قبول الاستسهال كمظهر سلوكى وقيمي مما أفضى الى القناعة ألآنية وغياب النظرة المستقبلية وقبول الحلول السهلة المطروح ...."

والسبب فى ذلك كما أرى وإعتمادآ على خبرتي المتواضعة في التدريس والبحث والاشراف النقص البين والواضح فى الكفاءات العلمية المقتدرة المشهود لها بالكفاءة والاخلاص وسعة الاطلاع . فالاساتذة القدامى الموثوق فى خبرتهم وتراكم تجربتهم إما توفاهم الله واختارهم الى جواره سبحانه وتعالى ، أو أحيلوا ويا للاسف الشديد على التقاعد الالزامى وهم في ذروة العطاء العلمي والبذل المعرفي .

أما الاساتذة الجدد – ولاسباب عديدة – فانهم يفتقرون الى الخبرة الكافية المطلوبة ، إضافة الى عبئهم الدراسي الثقيل ، وإبتعاد البعض منهم عن إختصاصه في التدريس .

إن قلة عدد الاساتذة إضطر الكثير منهم للاشراف على عدد كبير من طلبة الماجستير والدكتوراه.وقد أثر هذا وبدون أدنى شك على مستوى الدراسات العليا .

وهنا وفي هذا المفصل بالذات تتحمل الوزارة والجامعة والاقسام العلمية ولجانها العلمية بشكل خاص المسؤلية الادبية والتاريخية في إعادة التوازن ووضع الامور في نصابها الصحيح . إذ لابد من وجود الاستاذ القادر على التدريس والارشاد والتوجيه والنقاشات والحوارات والمساهمة الفاعلة مع طلبته في متابعة أوراقهم البحثية خطوة خطوة والمساهمة في الدورات والندوات والمؤتمرات . إن هذه المشاركة سواء أكانت داخل بلده أو خارجها فانها من العوامل المهمة التي تساعد في تنمية أفكاره وتطوير كفاءته وتعريفه باقرانه من الباحثين والمؤرخين . كما أنها ستفتح له آفاقآ واسعة تبعث في نفسه الثقة وتكشف عن قدراته الحقيقية وخزين مؤهلاته .

سوف لاتطرق في هذا البحث عن الجوانب النظرية في منهج البحث التاريخي وإنما سيكون التركيز على الجوانب التطبيقية في منهج البحث تلك الجوانب الي لها علاقة [باخراج الرسالة أو الاطلروحة على الوجه الصحيح وتمشيآ مع المنهج والطريقة التي تدربنا عليها على يد أساتذتنا من رواد المدرسة العراقية في كتابة تاريخ العراق المعاصر .

هناك مجموعة من الاركان الاساسية التي يجب توفرها في أى رسالة أو أطروحة وهذه الاركان تشمل : العنوان ،المقدمة ، الفصول ، الخلاصة ، الملاحق (إن وجدت)، ثبت المصادر والمراجع . وكل عنصر أو ركن من هذه الاركان فيه إشتراطات واصول واسس لابد من مراعاتهاوالالتزام بها لاخراج الاطروحة او الرسالة بالشكل والمحتوى المطلوب . ولااجد من

الضرورة الدخول في إشتراطاتها وأسسها لانها مفصلة بشكل أكاديمي وافٍ في المصادر التي تصدت لمنهج البحث التاريخي سواء تلك التي وضعها الاكاديميون العراقيون أو غيرهم .

ولكن لابد من القول إختصاراً إن المقدمة مفتاح البحث وتشكل عنصراً إبداعياً أساسياً يعكس مهارة الطالب في التعبير عن أفكاره وفرضيته وقدرته على الصياغة بلغته وبأسلوبه الخاص. إنها القياس لقوته ومدى فهمه لموضوعه وتعمقه في أحداثه .كما تعطي الانطباع عن قيمة الجهد الذي بذله . ولهذه المقدمة هي الاخرى عناصر وأركان يجب التقيد بها .

أما الفصول والمباحث فهي عملية تركيبية وتوليفية للحقائق والمعلومات التاريخية، أى بعبارة أخرى تركيب الاجزاء لبناء الكل بهدف اظهار البحث كوحدة موضوعية متكاملة.

ماذا نجد في رسائل و أطاريح اليوم مما لم يندرج ضمن أركانها الاساسية وأصبح من البدع الشائعة عند الطلبة وهم يقدمون رسائلهم للمناقشة ويستعدون للدفاع عنها : نجد صحيفة الشكر الطويلة الي يسبقها عادة الاهداء الاطول ثم الملاحق الكثيرة . وعلى ذكر الملاحق فمن النادر أن نجد ملحقاً يلحق بالرسالة ولم ينشر سابقاً . إذ وجدت أن اغلب الملاحق فى الرسائل والاطاريح التي اشتركت في مناقشتها كانت قد نشرت سابقاً . وإلا ما الفائدة من الحاقها بالرسالة او الاطروحة اذا كانت قدنشرت سابقاً. الهدف البين انما هو لتضخيم حجم الرسالة ومضاعفة عدد أوراقها . والطامة الكبرى ان بعض هذه الملاحق تشتمل على صور للشخصيات الي ورد ذكرها في متن الرسالة يفوق عدد الملاحق التي يفترض ان تتضمن على الجداول الاحصائية

والخرائط والارقام التي هي من الضرورات اللازمة لاغناء الرسالة او الاطروحة وتعزيزها .

مثال بسيط على ذلك برسالة الماجستير المعنونة : موقف بريطانيا من النشاط الالماني في العراق بين عامي ١٩٣٣-١٩٤٥وقد نوقشت هذه الرسالة يوم ٢٠٠٩/٧/٢٠ في قسم التاريخ بكلية التربية في جامعة الموصل . وقد وجدت في الملحق رقم (١) مجموعة صور لشخصيات عراقيةوغير عراقية عددها (١٢) صورة لادري إن كان هذا الامر مقبول أم لا؟؟؟ الذي أعرفه ومتأكد منه أن المدرسة العراقية في كتابة تأريخ العراق المعاصر قد وضعت أسساً وقواعد لاشتراطات ملاحق الرسالة التي يجب ان تقتصر على الخرائط والجداول والبيانات والوثائق . اما عدا ذلك فهي من باب البدع الي شاعت في السنوات الاخيرة .

إن طالب الدراسات العليا في أيامنا هذه يحتاج حاجة ماسة الى تنشيط معرفته التاريخية بالفترة الي يرغب التخصص فيها. كما يحتاج الى التمرين والتدريب على البحث وتطبيق كل الآليات التي التي درسها في مادة منهج البحث التاريخى . وهذان الامران لايتحققان بسهولة وانما بالجهد والقراءة المتواصلة والتريب المستمر . يجب التأكيد على الجهد والنشاط الميداني واعطاءه مساحة واسعة من الساعات المقررة لمنهج البحث .

وهناك مجموعة من المهارات والآليات الواجب الالتزام بها إذا اردنا لبحوث طلاب الدراسات العليا الجدية والابتكار من بينها:

أولاً : حضور الحلقات الدراسية الاسبوعية (السمنار) لما له من اهمية كبيرة للاساتذة والطلبة . وكثير من الجامعات المتقدمة التي أصلت طرق البحث تأخذ بنظام السمنار الاسبوعي حيث تعلن الجداول ومواضيع السمنار في

بداية كل فصل دراسي . وأتذكر جيداً عندما كنت أحضر لاطروحة الدكتوراه في المملكة المتحدة كان السمنار جزء أساسي من نشاط الطالب وتقييمه في جامعتي أوكسفورد ومانجستر اللتان تدربت فيهما . ولم يكن مقبولاً او مسموحاً به إعفاء أي طالب من تقديم السمنار وإعتبار مشاركته جزء من تقييمه النهائيوإعطاء الحكم الموضوعي على قابليته البحثية .

ولا بد من الاقرار ان الطالب آياً كان قد بواجه الصعوبة في بداية الامر إلاّ أن هذه الصعوبة تتلاشى شيئاً فشياً عندما يتكرر دوره في تقديم السمنار لأكثر من مرة . ولاينكر أن هناك صعوبة وخشية لابد من أخذها بنظر الاعتبار .مع ذلك أن مسيرة المليون تبدأ بخطوة واحدة .

لقد أثبت السمنار انه الوسيلة العملية التي تمرس الباحث وتدربه على تقديم الافكار الجيدة ويعمق الصلات بين الطالب والاساتذة ويدربه على أساليب النقاش وأساليب الحوار. ويسهم في الوقت نفسه في التعرف على القدرة والقابلية البحثية للطالب وتقديم حكم ـــ قديكون مبكر ولكنه مفيد ـــ على قدرات الطالب وامكانياته في مجال البحث قبل دخوله تجربة إعداد الاطروحة .

ثانياً : أصبحت الكفاءة اللغوية بلغة أجنبية مطلباً أساسياً لمن يحترف مهنة التاريخ إذ لايخفى ما لهذه اللغات من أهمية بالغة تؤهل طالب الدراسات العليا للاطلاع على ما يكتب أو ينشر من مواضيع او فصول تفيده في بحثه وتوسع آفاقه وتمرس منهجيته .

إن متطلبات اللغة الاجنبية تتوفر فى الوقت الحاضر عبر قناتين :

١ــ شهادة كفاءة باللغة الانكليزية بعد إجتياز امتحان الكفاءة في المراكز الامتحانية المعتف بها رسمياً .

٢ــ التركيز على ترجمة النصوص التاريخية من مصادر متعددة كالكتب والصحافة والوثائق ضمن سياقات وساعات مقرة رسمياً تحمل عنواناً هو" النصوص التأريخية باللغة الانكليزية ".

وقد ثبت ان هذان العنصران لم يعودا كافيين . كما ان موضوع اللغة الانكليزية لا يمكن معالجته بفصل دراسي واحد وساعات دراسية مقننة .

إنما العلاج يكمن بالرغبة الشخصية عند الطالب نفسه عبر القراءة والسماع والامنية في السفر الى بلد أجنبي . إن تحققت مثل هذه الامنية !!!!

الكارثة الحالية الي نواجهها أن بعض الاقسام العلمية تكلف من لايمتلك خلفية لغوية جيدة أو لم يكن متخرجاً من جامعة أجنبية بتدريس هذه المادة مما إنعكس سلباً على كفاءة الطالب اللغوية .

وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي : هل يمكن إعتبار اللغة الاجنبية ضرورة لازمة للبحث في الدراسات العليا أم امراً شكلياً ؟؟؟

يبدو من سياق تجربة الانغمار في الدراسات العليا انها اصبحت امراً شكلياً بدليل تخرج الطالب وهو لايعي أو لايفهم شيئاً بأي لغة أجنبية . وإذا إضطر في مرحلة البحث لاستشارة مصدر أجنبي فيتم الاستعانة بغيره لأغراض الترجمة وإنفاق مبالغ لايستهان بها على ذلك . والثابت ان ليس كل من يعرف لغة أجنبية بقادر على الترجمة والمحافظة على روح النص . ويشهد على ذلك جسامة الاخطاء في تنايا الرسالة او الاطروحة . فالترجمة علم وفن . والقلة من مترجمي الزمن الراهن من يمتلك هذين المؤهلين .

ثالثاً : الحضور الالزامي لطلبة الدراسات العليا لمناقشات رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه وتدوين الملاحظات المثارة ومناقشتها

فيا بعد خلال المحاضرات على شكل حلقات نقاشية مستمرة من اجل أن تعم الفائدة بين الطلبة . يجب تدوين هذه الملاحظات في دفاتر خاصة ودفع الطلبة على تطبيقها في أوراقهم البحثية كلما أمكن ذلك . ومتابعة ألامر من أستاذ منهج البحث التاريخي ليتأكد من إلتزام طلبته بقواعد وآليات التوثيق والصياغات وتنظيم العرض فضلآ عن المصادر والمراجع .

رابعآ : الزيارة الميدانية لمركز الوثائق والاطلاع على نماذج من هذه الوثائق من حيث الموضوع والفهرسة وكيفية الاستعارة وبناء علاقة جديدة مع هذه المادة التي ستشكل القاعدة الاساسية في الساحة المصدرية للدراسة، لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار تأكيد المدرسة العراقية في تأريخ العراق المعاصرعلى المادة الوثائقية وإعتماد مرجعية هذه المدرسة في آليات التوثيق .

وعلى ذكر الوثائق لابد من الاشارة أن بعض هذه الوثائق لايجوز الاطلاع عليها أو مختوم عليها بطابع السرية .وهنا تطفو إشكالية جديدة على السطح جوهرها عدم وجود قانون يحدد العمر الزمني لسرية الوثيقة الي بحوزة مؤسسات الدولة وأفضى هذا الامر الى أن يكون مزاج المسؤلين هو الفيصل في أمر الاطلاع على الوثيقة من عدمه أو في السماح لهذا الباحث أو ذاك في الاطلاع عليها . وأعتقد ان هذه الاشكالية يمكن التغلب عليها بمرور الزمن مع إستقرار النشاط المكتبي وزيادة الوعي الوثائقي لدى القيمين على إدارة وخدمة مراكز الوثائق هذه .

خامساً : تزويد الطالب بالآسس والمرتكزات الواجب إعتمادها عند عرض المصادر وتعويدهم على كيفية عرض أكبر قدر ممكن من هذه المصادر. إذ كلما إزداد تدريبهم على عرض المصادر إزدادت معرفتهم بها أولاً وتمييز القوي من الضعيف ثانياً وإكتساب مساحة معرفية عن طريق القراءة الفنية السريعة للكتاب من حيث العنوان والمقدمة والمحتويات والخلاصة ثالثاً .

إن غياب الاسس السابقة أو البعض منها أوجد حالة من الضعف العام الذى عم دراساتنا التاريخية وأنعكس ذلك بوضوح في طغيان الجانب الكمي على النوعي وبدا ذلك جلياً في كثرة وأزدياد عدد الرسائل التي تعتمد الانشاء والتسطير للمعلومات دون الافكار المبتكرة والمتجددة . لقد إفتقدت رسائل اليوم الى المعالجة العصرية والمنهجية إلا في عدد محدود . إن هذا الامر يحتاج الى جهد وزمن والى وضوح في الرأى والهدف والى حس نقدي يمتاز بالقدرة والكفاءة .... هذه الامور نفتقدها وللأسف في ساحة البحث التي يتسابق فيها الباحثون الى دراسة الى دراسة مواضيع وقضايا عولجت وبحثت سابقاً . وكان الجهد فيها أن أعاد ألباحث ترتيبها أو جمعها وعرضها بطريقة تختلف عما وجدها. لقد عجز الطلبة في السنوات الاخيرة ـــ إلا القلة منهم ــ في تقديم عمل ذات قيمة ويشكل إضافة الى المعرفة التاريخية . وهنا تتحمل الجامعات والاقسام العلمية والمكتبات المركزية الجامعية المسؤلية فيما يقدم من رسائل وأطاريح لانعدام التنسيق فيما بينها الامر الذي يؤدي الى تكرار البحوث والمواضيع حتى في الجامعة الواحدة بسب إنعدام الضوابط التى تحكم البحوث وتوجهها وإنعدام الفهارس الدقيقة التي تسهل على طالب الدراسات العليا معرفة عناوين المواضيع التي عولجت سابقاً حتى

لا يتصدى بصرف الوقت والجهد على موضوع مشابه ومكرر. إن إنعدام هذه الفهارس يعد من الصعبات التي تواجه الطالب في خياراته ووقوعه في التكرار . لذا نجد الطالب يصطدم وهو في منتصف الطريق أو في يوم الدفاع عن رسالته أن موضوعه قد درس من قبل . لذا أجد ان من الضروري إصدار الفهارس وتبادل الرسائل لانها ضرورة علمية ملحة لخدمة البحث العلمي وتفادي التكرار والحد من السرقة العلمية .

إن المتتبع لاشكالية منهج البحث في الدراسات العليا لايضع العبىء كل العبىء على كاهل الطالب وحده إنما يتحمل المشرف جانباً منه . فإنعدام إمكانات البحث وأجوائه موضوع يعاني منه الباحثون والمشرفون سوية. إن جو البحث العلمي لايعني مجرد وجود الاستاذ المشرف والمكتبة كما يظن ويعتقد البعض . بل وجود المكتبة التي تقدم أفضل الخدمات المكتبية والتي تتوفر فيها الوسائل المساعدة من أمناء مهرة أصحاب خبرة مكتبية متراكمة وفهارس حديثة وأجهزة تصوير وغيرها من التقنيات الي تساعد الباحث والمشرف على إداء عمله وإنجازه على الوجه المطلوب دون معاناة . وبالمناسبة لابد من الاعتراف بان الخدمة المكتبية في المكتبة المركزية لجامعة بغداد في السبعينات كانت متقدمة رغم قلة المطبوعات ومحدودية التقنيات حيث توفرت المعتكفات ويسمح للباحثين بالدخول الى مخازن الكتب ورفوفها من أجل البحث عن الكتاب المراد إستعارته وإخراجه من الرف لغرض تسجيله عند موظف الاستعارة . كما أن العلاقات الانسانية بين الباحثين من جهة والقيمين على شوؤن المكتبة من جهة أخرى كانت على درجة عالية من التواضع والثقة والاحترام .... هذا إذا أضفنا الى ما تقدم

طول ساعات الدوام في المكتبة مما وفرَ أجواء بحثية على درجة عالية من الاستقرار والتقدم والسو مقارنة بأجواء اليوم .

كل هذه النواحي المتقدمة إنعكست إيجاباً بإنجاز تلك الدراسات الجادة والاصيلة التي يتكرر الحديث عنها بالمديح والاعجاب والتقدير .

إشكالية أخرى يعاني منها المشرفون كثيراً تتعلق بمسوؤلية الاشراف على عددكبير من الطلبة . إن ضعف الطلبة فى الدراسات العليا أدى الى مضاعفة مسوؤلية المشرفين الذين يصرحون بشكواهم من أن دورهم تحول من دور التوجيه المنهجي والعلمي الى دور المصحح للآخطاء الاملائية والنحوية والصياغات الاسلوبية . هذا إذا أضفنا عدم تفرغ المشرف تفرغاً إيجابياً وثقل نصابه مما يؤثر عليه ويرهقه ويحول دون قيامه بواجباته ونشاطاته على الوجه المطلوب في خدمة البحث العلمى .

هذا أضفنا الى ما تقدم إشكالية أخرى تتعلق بثقافة المشرف . فعلى المشرف المؤرخ أن لايحصر نفسه فيما يسميه إختصاصه الدقيق . عليه أن يوسع أفقه المعرفي وثقافته العامة . أن المؤرخ المعاصر لا بد أن يدرس شيئاً من علم الاجتماع ويطلع على بعض مبادىء الاقتصاد وان يكون ملمآبصطلحات العلوم السياسية المعاصرة وأن يكون على دراية بأسلوب البحث في الوثائق وفي الاتجاهات الصحفية . فكلما كان المشرف المؤرخ واسع الاطلاع كان الاقدر على تقديم الافكار الجديدة المتفتحة .

والخلاصة إذا أريد لمنهج البحث التاريخي أن يرقى الى مستوى متقدم من العلمية والاكاديميةيجب أن تتوفر لنجاحه العناصر التالية التي اطمح مخلصاً أن تجد طريقها الى التطبيق :

أولاً : أن يتصدى لتدريسه من هو الاكثر أهلية وإطلاعاً وخبرة . وان تتولى اللجنة العلمية في القسم المعني مسوؤلية الاختيار والتكليف بعيداً عن المجاملات والعلاقات ... وياحبذا أن يتصدى لتدريسه أكثر من أستاذ .

ثانيا : أن يمتد تدريسه لفصلين دراسيين (سنوي) . الجزء القصير من الفصل الاول يخصص للجانب النظري حيث يتعهد بتدريسه أستاذ يركز على المادة الي تدخل في إطار (المنهج النظري) حيث تعطى للطالب المعلومات المكثفة المتعلقة بأهمية التاريخ ونظريات تفسيره والعلوم المساعدة له .

ثالثاً : الجزء المتبقي من الفصل الاول ومعظم الفصل الثانى يخصص لاخراج المنهج من إطاره ونطاقه النظري الى المنهج التطبيقي لانه يتعلق بتطبيق القضايا النظرية المتعلقة بتفاصيل المنهج الى شكل عملي تطبيقي . وهذا الامر لايتأتى إلا بعد المران والممارسة والمتابعة الميدانية مما يحتاج الى تخصيص وقتاً اطول.

رابعاً : إخراج المناقشات من طابعها الاحتفالي الذي يصاحبه في العادة توزيع الحلوى والمرطبات والشاي الى طقوس تحيطها قدسية المناسبة والرجوع الى التقاليد الرصينة في المناقشات تلك التقاليد التي أرستها المدرسة العراقية .

خامساً : إقتصار حضور المناقشات على طلبة الدراسات العلياحصراً ... وأن يكون حضورهم إلزامياً وإعتبار ذلك جزءاً من إلتزامات واشتراطات منهج بحثهم الدراسي .

سادساً : الاختلاف والتباين في طريقة توثيق الهوامش ولاسيما هوامش الصحف والمجلات والدراسات والاطاريح مما يثير بعض الجدل بين المناقشين أمام الرأى العام من الحضور. فتلافياً لهذا الامر يجب التوحيد في آليات التوثيق بإعتماد مرجعية المدرسة العراقية في هذا الموضوع .